قالت العرب

ريحي عالية و عزيفي منفرد / حسب الواجد إفراد الواحد له / حسب العاشق تلميح المعشوق دلالا / وأنا حسبي أني ولدتني كل نساء الأرض، وأن امرأتي لا تلد / وابن ربيعة في منفاه الآتي يبترد، يسكر من نبع البحر ولكن، مافي الجبة أحد

المشهد

العدد 327 - السنة الحادية عشرة- الأحد 15 يناير 2023م - 22 جمادى الآخر 1444هـ

كالفن ضد كاستيليو: الديكتاتورية ضد الحرية

الحرية غير ممكنة من دون السلطة (وإلا حلت الفوضى) والسلطة غير ممكنة من دون الحرية (وإلا ساد الطغيان)

الديكتاتورية لا تطيق الصرخات ولا تحبذ سوى هتافات التأييد ، بل هى لا تتساهل حتى مع الصرخة الأولى ، وتظهر ردة الفعل فى تكميم الأفواه، يليها استئصال الأفواه وأصحابها. هذا ما أدركه ستيفان زفايغ الروائى والكاتب النمساوى من أصل يهودى ، من خطر وصول الديكتاتورية إلى السلطة ، وأراد أن يطلق صرخة التحذير. لكنه كان يعرف ويلات ذلك ، فكان أن نشر عام ١٩٣٦ كتابه «كاستيليو ضد كالفن، أو ضمير ضد العنف» واختار له حقبة زمنية ترجع أربعة قرون إلى الوراء.

كالفن دكتاتور دينى أوصد باب تأويل الإنجيل وأضحى الحاكم الأوحد محولا المجتمع الديمقراطى إلى ديكتاتورية لا رأى فيها سوى رأيه

أساليب الطغاة للقبض على مفاصل الدولة تتنوع من الوعود البراقة وتبدأ القمع بالكلام ثم بتحريض المجتمع على المعارض وأشد أنواع الديكاتورية تلك التى جاءت مبشرة بغد أفضل

مؤلف الكتاب

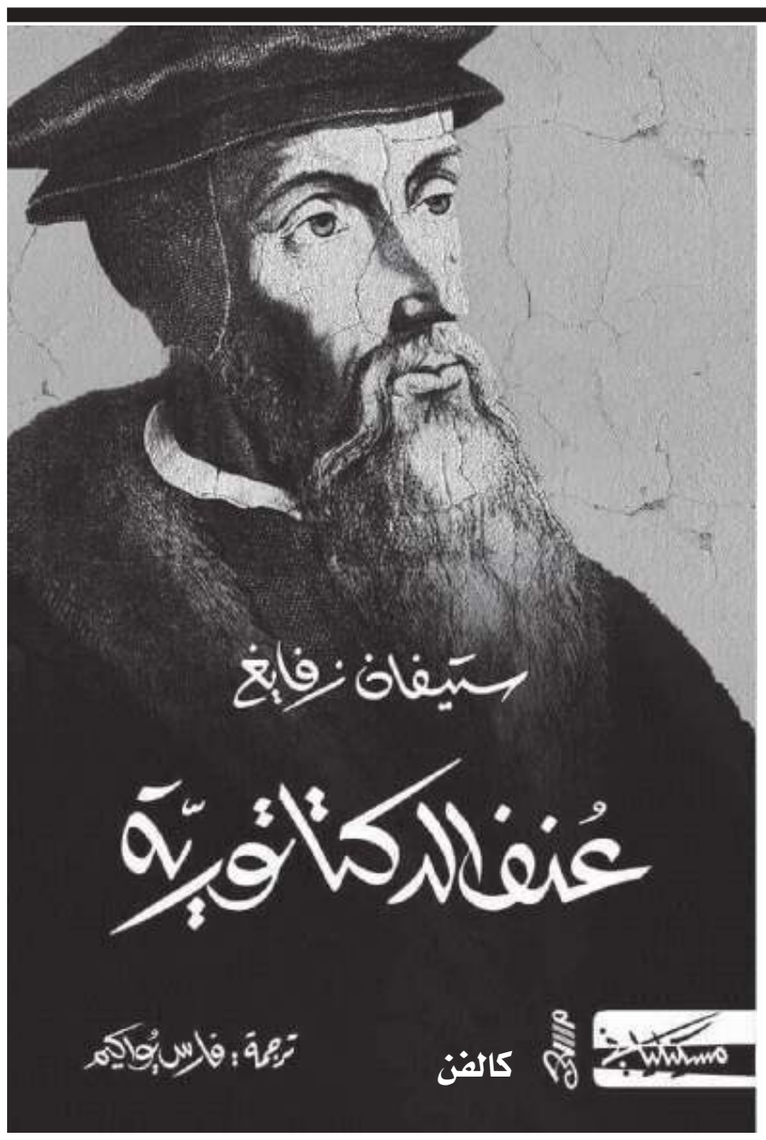

الشخصية

الرئيسية: جان كالفن أحد أعمدة البروتستانتية ، والدكتاتور الدينى الذى أوصد باب تأويل الإنجيل بتأويله ، وعد كل خروج عليه جرما فى حق الله والدولة ، تماما كما يفعل حماة الرب والناطقون باسمه دوما ، حتى فاق إرهابه ما فعلته محاكم التفتيش البابوية. والثانية سباستيان كاستيليو أحد دعاة الإصلاح المسيحيين الأوائل الذين دعوا للتسامح الدينى وحرية الضمير والرأى والفكر.

كتابه هذا ترجمه السيناريست والكاتب اللبنانى فارس يواكيم وعنونه بـ «عنف الديكتاتورية» مؤكدا أن الكتاب من حيث المضمون «وضع الحاضر الخاضع للدكتاتورية على خشبة مسرح التاريخ فى مرحلة ديكتاتورية مشابهة». وأوضح أن جان كالفن جاء إلى جنيف من فرنسا هربا من محاكم التفتيش الكاثوليكية ، هو المنضم حديثا إلى المذهب البروتستانتي. وبدأ حياته المهنية قسيسا فى كاتدرائية سان بيار فى جنيف، وما لبث خلال فترة زمنية قصيرة أن أمسك بزمام الأمور ، وأن أضحى الحاكم الأوحد محولا المجتمع الديمقراطى إلى ديكتاتورية لا رأى فيها سوى رأيه ، وكل الأصوات أصداء لصوته والويل لمن يعترض. وكان كاستيليو من أنصار كالفن. لكنه لم يتحمل الطغيان وقمع الحريات والزيف الكبير..

ويضيف «عندما أمر كالفن بإحراق المعارض ميغيل سيرفيت . فيزيائى وطبيب ومترجم، وعالم دين إسبانى ، تضمنت اهتماماته العديد من العلوم . وأشعلت النيران فى جسده وهو على قيد الحياة، تمزق كاستيليو وبدأت المعركة بينه وبين كالفن. ولم تكن مجرد معركة بين شخصين، بل بين تيارين ومنهجين: بين القمع والحرية ، والعنف والحوار ، بين التعصب والتسامح ، بين الديكتاتورية والديمقراطية. وهذه معاناة ستيفان زفايغ أيضا. إذ بعد نشر كتابه بسنتين ، أدرك أن الديكتاتورية آخذة فى تصفية الخصوم ، وأن جيوشا من المنافقين الانتهازيين يؤيدونها ، فما كان إلا أن هاجر إلى لندن ، ثم إلى البرازيل. وعندما اشتعلت الحرب العالمية الثانية دب اليأس فى نفسه وانتهى به الأمر إلى الانتحار هو وزوجته فى يوم ٢٢ فبراير ١٩٤٢.

يحلل زفايغ فى كتابه الصادر بتعاون مشترك بينداري مسعى ومسكيليانى تحليلا دقيقا لكل الأساليب التى يلجأ إليها الطغاة للقبض على مفاصل الدولة بكل تفاصيلها ، ثم إحكام السيطرة عليها. وتتنوع الأساليب من الوعود البراقة ، إلى التنصل منها ، وبدء القمع بالكلام ثم بتحريض المجتمع على المعارض وصولا إلى إعدامه ، مؤكدا أن أشد أنواع الديكاتورية عنفا هى تلك التى جاءت مبشرة بغد أفضل.

يقول زفايغ فى كتابه الرائق فى أسلوبه «ومن تراه يكون خصمه . يقصد خصم كالفن . إنه كاستيليو، ذلك المثالى المفرد الذى باسم حرية الفكر الإنسانى أدان ذلك الطغيان وكل طغيان فكرى مشابه؟ إنه حقا . بالمقارنة بالقدرة الهائلة لدى كالفن . البرغشة ضد الفيل! إنه، انطلاقا من حيث التأثير العام ، نكرة، صفرا ، شخصا لا وجود له. وأضف إلى ذلك، إنه مثقف فقير مدقع، يستطيع بمشقة تامة أن يطعم زوجته وأولاده عبر ترجمات يقوم بها ودروس خصوصية فى المنازل ، إنه لاجئ يعيش فى أرض دون إذن إقامة أو حق مواطنة ، ووطأة الهجرة عليه مضاعفة.

ويشير زفايغ إلى أنه فى عصور التعصب العالمى يبقى الإنسان المحتفظ بإنسانيته عاجزا ومنعزلا تماما وسط الفقهاء المتحمسين المتشاجرين فيما بينهم.

ملاحقة وأناس يخشون حريتهم!

لسنوات طويلة قبع ذلك المفكر الإنسانى المتواضع فى ظل الملاحقة وفى ظل الفقر وعاش حياة بائسة ، فى ضيق دائم ، لكن فى حرية دائمة أيضا ، كونه لم يرتبط بحزب ولا تواطأ مع فكر متعصب. إلا أنه خرج من أشغاله تلك، إثر إعدام سيرفيت ، ولبّى نداء ضميره الملح بقوة ، واتهم كالفن باسم حقوق الإنسان المنتهكة. عندئذ بدأت العزلة المفروضة عليه بالنمو لتصبح بطولة. بيد أن كاستيليو على النقيض من خصمه كالفن المعتاد على الحروب ، ليس عنده أتباع فى غاية الشراسة والتنظيم يؤيدونه ويدعمونه ، ولا حزب ولا تقدم له الكنيسة الكاثوليكية أو البروتستانتية أى دعم ، ولا أحد من أصحاب المقامات الرفيعة ، لا ملك ولا قيصر قدم له يد العون مثلما قدموا من قبل إلى لوثر أو إيرازموس. حتى الأصدقاء القليليين المعجبين به، لم يتجاسروا سوى على أن يهمسوا له بالتشجيع سرا. إذ كم يشكل الأمر خطرا ، وعلى الحياة ذاتها ، أن يقف المرء علانية إلى جانب رجل رفع صوته عاليا لصالح المحرومين والمضطهدين ، فى حين شاء جنون العصر آنذاك أن تلاحق السلطة خصومها فى كل البلدان كالطرائد وأن يساموا التعذيب بتهمة المروق. وعبر حادثة سيرفيت رفض فى حينه وإلى الأبد أن يكون للحكام فى هذه الأرض الحق فى ملاحقة أى إنسان فى العالم بسبب عقيدته أو رأيه.

ويرى زفايغ أن كاستيليو وكالفن دليل حسى رفيع المستوى على تناقض خفى ، بيد أنه منيع فى الوقت ذاته. أيا كان المصطلح الذى يود المرء أن يسمّى به قطبى هذا الصراع المستديم: التسامح ضد اللا تسامح ، الحرية ضد الوصاية ، الإنسانية ضد التعصب ، الفردية ضد الآلية ، فكل هذه التسميات تعبر عن قرار شخصى للغاية وفردى بالتمام؛ أيهما الأهم بالنسبة إلى كل فرد: الإنسانى أم السياسى ، الأخلاقى أم المنطقى ، الفردى أم الجماعي.

ويقول «هذه الحدود الفاصلة دائما بين الحرية والسلطة ، لم يبق شعب ما ، وزمان ما ، مفكرون ما فى منأى عنها. ذلك أن الحرية غير ممكنة من دون السلطة (وإلا حلت الفوضى) والسلطة غير ممكنة من دون الحرية (وإلا ساد الطغيان). ومما لا شك فيه أن ميلا غامضان نحو الذوبان الذاتى فى الجماعة يكمن فى أساس الطبيعة البشرية. راسخة لا تمحى، تبقى تلك الأوهام العتيقة بشأن إمكانية العثور على نظام دينى أو قومى أو اجتماعى معين يهب البشر أجمعين السلام والنظام إلى الأبد وبالتساوى بينهم. وقد أثبت المفتش الكبير فى رواية دوستويفسكى بجدلية صارمة أن معظم الناس يخشى ، فى الواقع، حريته الذاتية. وفى الحقيقة بسبب الإعياء الناجم عن تنويعات المشكلة المرهقة، وبالنظر إلى تعقيدات الحياة ومسؤولياتها، تتوق الغالبية الكبرى من البشر إلى برمجة العالم آليا من خلال نظام صالح لكل أوان، يعفيهم من إعمال الفكر».

ويلفت زفايغ إلى أن هذا النزوع السيانى (انتظار المنقذ) إلى حالة تنزع الإشكاليات من الوجود، يشكل الخميرة الحقيقية التى تمهد الطريق لكل الأنبياء الاجتماعيين والدينيين. ودائما حين تفقد مثاليات جيل ما وهجها وألوانها ، ما إن ينهض رجل ذو موهبة فى الإيحاء ويعلن بطريقة حاسمة أنه ، وأنه وحده ، وجد الصيغة الجديدة أو ابتكرها، حتى تتدفق عليه ثقة الآلاف كما التيار، بوصفه مخلص الشعب ومخلص العالم. ومن القاعدة الثابتة أن كل أيديولوجيا جديدة . وهنا بلا شك يكمن معناهاه الميتافيزيقى تخلق مثالية جديدة. ذلك أن الذى يهدى البشر وهما جديدا بالوحدة والطهارة، يبدأ فى أن يتخلص منهم القوى الأكثر قداسة: الحماسة وروح التضحية. يبدو الملايين، كما لو أنهم مسحورون، راضخون للانجذاب، للاستثمار، للاغتصاب الفكري، وكلما ألزمهم ذلك الداعية ناثر الوعود بالواجبات تمادوا فى الاستلاب. الحرية، التى كانت حتى الأمس أسمى معانى سعادتهم، يتخلون عنها اليوم بكامل الرضا ويستسلمون للانقياد دون أدنى مقاومة. أما شعار تحطيم العبودية الذى أطلقه تاسيت قديما، فهو يتمثل الآن فى الحماسة التى تولدها نشوة التضامن مع المجموع التى تجعل الشعوب تخضع بمحض إرادتها للعبودية، بل وتمتدح السوط الذى يضربها.

كل ضغط مآله الانفجار

ويوضح أن الذهن عنصر غامض كالهواء، لا يرى ولا يمكن الإمساك به، يبدو طيعا قابلا للتكيف مع الأشكال والصيغ كافة. وهذا يغرى دائما أصحاب الطبائع الاستبدادية فيجعلهم يتوهمون، أن المرء يمكن أن يضغط هذا الذهن ويحبسه ويعبؤه طيعا فى قوارير. بيد أن كل ضغط يولد إلى مادة ناسفة متفجرة. كل ضغط يقود عاجلا أم آجلا إلى الثورة. وعلى المدى الطويل تبقى الاستقلالية الأخلاقية للإنسانية . وفى ذلك كامل العزاء . غير قابل للتدمير. ولم يفلح أحد حتى الآن ، فى أن يجبر البشرية فى عموم الأرض بطريقة ديكتاتورية على تبنى دين واحد أو فلسفة واحدة أو مفهوم كونى واحد ، ولن يفلح غدا أيضا ، إذ أن الذهن سيعرف دائما كيف يقاوم كل تبعية ، وسيرفض دائما أن يفكر وفق صيغ مكتوبة سلفا ، أو أن ينحط أو يهان أو يقزم أو يدجن. وعليه فكل جهد ينشد إخضاع تعددية الوجود، التى هى هبة الله، إلى قاسم مشترك موحد، هومبتذل ومن دون جدوى. مثله مثل تقسيم البشر إلى أسود أو أبيض، خيّر أو شرير، ورع أو مارق، مطيع للدولة أو معاد لها، على أساس مبدأ يفرضه منطق القوة. فى كل العصور نجد نفوسا مستقلة تتمرد على مثل هذا الاغتصاب الممارس ضد الحرية الإنسانية. إنهم «المستكفون ضميريا» الرافضون بحسم المشاركة فى كل تسخير للضمير. ولا يمكن لأى عصر أيا كانت همجيته، ولا لطغيان أيا كانت منهجيته، إلا أن يجد أفرادا يعرفون كيف يتملصون من القمع الجماعي، وكيف يدافعون عن حق المرء فى قناعة ذاتية تقف ضد العنيفين المهووسين بفكرة أحادية متسلطة، المستميتين فى الدفاع عن حقيقة واحدة، حقيقتهم.

ويؤكد زفايغ أن كاستيليو جعل حياته رهينة الخطر بسبب قناعاته، إذ واجه فقهاء العالم حين أطلق على سيرفيت الذى أعدمه كالفن لقب الضحية البريئة، وحين رمى سفسات كالفن العنيدة بعبارته الخالدة «إن حرق إنسان لا يعنى إطلاقا الدفاع عن عقيدة، وإنما قتل إنسان»، وحين كتب فى منشور التسامح (قبل لوك وهيوم وفولتير والعديد من أمثالهم بمدة طويلة) مطالبا بحقوق حرية الرأي. لا، لا يحاولن أحد مساواة معارضة كاستيليو ضد حكم الإعدام الذى أودى بحياة ميغيل سيرفيت، بالمعارضات الأشهر ألف مرة لفولتير فى حادثة كالاس أو زولا فى قضية دريفوس. لأن هذه لم تبلغ الرفعة الأخلاقية لتلك. ذلك أن فولتير حين ناضل من أجل كالاس كان يعيش فى عصر متسامح ، أضف إلى ذلك أن الأديب العالمى نعم بحماية الملوك والأمراء. والأمر ذاته بالنسبة إلى زولا الذى سانده كجيش غير مرئى ، إعجاب أوروبا بأسرها، بل والعالم بأسره، والتقدير الذى حظى به، وعلى قدر العون الذى قدماه ، قامر كل منهما بسمعته وراحة باله من أجل مصير إنسان آخر ، لكنهما . والفارق التالى يبقى حاسما . لم يقامرا بحياتهما كما فعل سباستيان كاستيليو الذى فى نضاله من أجل الإنسانية ، عانى الأمرين من اللاإنسانية العنيفة القاتلة التى ميزت عصره.

دفع ثمن البطولة

ويتابع أن كاستيليو دفع ثمن بطولته الأخلاقية كاملا وإلى أقصى حدود طاقته. وإنه لأمر محزن، كيف خلق العنف الوحشى ذلك المنادى بمحو العنف الذى لم يشأ أبدا أن يستخدم أى سلاح سوى العقل. آه كم سيفطن الناس دائما وأبدا، كيف أن كل نضال سيبقى بلا أمل حين يخوضه إنسان بمفرده ضد تنظيم متماسك متين ، من دون سلطة تدعمه سوى الحق الأخلاقي. وإذا نجحت عقيدة ما مرة فى أن تستولى على آلة الدولة ووسائل الضغط التابعة لها ، فهى تطلق الإرهاب من دون تردد ، وتخنق الكلمة فى حلق كل من حاول أن يمس سلطتها المطلقة ، إن لم تخنق حلقه ذاته. كالفن لم يرد أبدا بشكل جدى على كاستيليو بل آثر أن يخرسه. كتبه مزقت، أحرقت، منعت، صودرت. وبابتزاز سياسى على المقاطعات المجاورة منع كاستيليو من الكتابة. وحين أصبح عن الكتابة والتوضيح، انقض زبانية كالفن عليه بحملات القذف. وما لبث الصراع أن انعدم ، وحلت محله التصفية الفكرية الحقيرة ضد أعزل أوحد. ولم يعد كاستيليو قادرا على الكلام ولا الكتابة، وبقيت مؤلفاته خرساء حبيسة الخزائن. بينما امتلك كالفن منبر الكنيسة، المطابع ووسائل النشر، المدارس، المجمع الديني، وكل آلة العنف التابعة للدولة وقد استخدمها دون تحفظ. كل خطوة قام بها كاستيليو خضعت للرقابة، كل كلمة تفوه بها تم التصنت عليها، ورسائله اعترضت قبل أن تصل إليه. فهل من عجب أن مثل هذا التنظيم المتعدد الوسائل والقوى قد انتصر على الرجل الأعزل؟ وحده الموت المبكر أنقذ كاستيليو من النفى أو الحرق.

تقرير - محمد الحمامصي

وجهة نظر

كعب داير أصحاب المعاشات

هالة فؤاد

لايمكن لأحد تخيل حجم المعاناة التي يتكبدها كثير من أصحاب المعاشات للحصول على حقهم إلا من خاض تلك التجربة أو عايشها من خلال أحد المقربين له.

تتعدد التفاصيل وتتباين الروايات وتتنوع الحكايات ، لكنها تعكس جميعها نفس الحال التي يرثى لها والتي حولت حياة كثيرين من مستحقى المعاش إلى جحيم وتعاملت معهم تماما كمذنبين تحت المراقبة ، عليهم إثبات حسن سيرهم وسلوكهم والتردد على أقسام الشرطة للتأكد من براءتهم وخلو سجلاتهم من الجرائم.

رحلة مرهقة يتكبدها مسنون تعترف الدولة رسميا بأنهم أصبحوا خارج الخدمة بحكم سنوات عمرهم التي أفنوها في عملهم ، وحياتهم التي أهدروها أو وهبوها طواعية للإخلاص في عملهم.. يشاركهم تلك الرحلة المضنية غيرهم من الأسر التي اضطرتها ظروفها للتردد على مكاتب التأمينات لصرف معاش عن أب أو أم بعدما تغيرت ظروفهم الاجتماعية بسبب طلاق الإبنة أو عجز الإبن البالغ الحادية والعشرين عن الكسب.

لكل منهم حكاية ووراء كل منهم ظروف صعبة .. معاناة تتطق بها أجساد متعبة مرهقة ووجوه يكسوها الحزن ، وملامح تجاهد لتخفى ألما يعتصر القلوب على فقد عزيز أو خراب بيت وتدمير أسرة وأزمة أرملة أو مطلقة أو مسن ، يغالب كل منهم دمعه أملا في فتات يمكن أن يسد ولو قدرا بسيطا من احتياجات أسر تعانى في زمن صعب.

لا يجيد قراءة تلك الوجوه وتخيل معاناتها إلا من يشاركها تلك الآلام ويشاطرها جزءا من تلك الرحلة .. يفتح كل منهم للآخر قلبه بسهولة ليس فقط للتغلب على ساعات الانتظار الطويلة ، ولكن ليواسى كل منهم الآخر أو يدله بحكم خبرته على طريق ربما يكون غافلا عنه يسهل له مطلبه .. وإن كان الأمر لا يسلم أيضا من شجار محتمل بين الحين والآخر بسبب التنافس على أسبقية الحضور ، بعدما ينفد الصبر وتضيق الصدور ويحل الغضب من ملل الإنتظار ووهن أجساد فاض بها الكيل وفقدت كل قدرتها على المقاومة وتحمل الآلام.

معاناة هؤلاء لا تهم كثيرا وجوها أخرى مختفية وراء مكاتبها ، ربما لا تقل إجهادا عن وجوه أصحاب المعاشات .. ضيق الحال يبدو واضحا على هيئة موظفي التأمينات ، يجاهد أصحاب الضمائر منهم لإخفائها والتعامل برفق مع كل متردد عليهم .. بينما يبدو آخرون أكثر استفزازا ونفورا وعدم اكتراث وتعنت وتفنن في وقف المراكب السائرة والمبالغة في تطبيق لوائح دون أدنى قدر من المرونة أو الرحمة ، بل وتعمد عدم التوضيح لتطيل أمد رحلة العذاب لأقصى وقت ممكن وتنتهي إما بالضغط "لتفتيح المخ ودفع المعلوم" أو بضغط من أصحاب الوساطة ممن لهم الكلمة الأعلى لإجبارهم على تيسيير الأمور وتقديم الخدمة على أكمل وأسرع وجه ووقت.

والحقيقة التي تبدو واضحة لأصحاب ومستحقي المعاشات الذين قضوا سنوات من أعمارهم طلبا لحقوقهم ، التي أتلفتها مكاتب التأمينات ، أن المشكلة ليست فقط في الموظفين ولكن أيضا في الأجهزة العتيقة التي يتعاملون بها. شاشات كومبيوتر عتيقة تحدق عيونهم فيها وتبدو كأنها تفك لوغاريتمات .. تستغرق وقتا طويلا قبل أن تلتقط ورقة بالية تكتب فيها رقما أو وثائق وأوراقا رسمية أو شهادات ميلاد أو وفاة وغيرها تكتبها بسرعة وبخط غير واضح ، ولا تمهلك وقتا للاستفسار ، تضيق سريعا بطلباتك وتحثك بإستفزاز و"قرف واضح" للغروب عن وجهها لتسلم دورك لمبتلى غيرك وقع عليه الدور لمواجهة أصحاب الوجوه العابسة.

الحقيقة أن المشكلة لا تكمن فقط في حال موظفي المعاشات ، لكن المشكلة الأكبر في البيروقراطية التي تحكم تلك المنظومة والتي ينفذ منها كل موظف منعدم الضمير أو تكبل آخر يفتقد الكفاءة أو تجبر ثالثا عن عمد مقصود للتباطؤ ، وكأن هناك تعليمات خفية بتعقيد الأمور والتباطؤ والتلكك لإطالة صرف المستحقات لأطول وقت ممكن ، بعدما ذهبت مستحقات أصحاب المعاشات من خزانة الوزارة المسؤولة عنهم أدراج الرياح. فتكون النتيجة تلك الدوامة المرهقة التي تحول حياة أصحاب المعاشات إلى جحيم ، وربما تنقضى أعمار بعضهم دون الحصول على حقوقهم التي كفلها القانون والتي يتشدق بها الجالسون على مقاعد السلطة والمسؤولون بجميع مناصبهم ومكانتهم ، المغيبون عن المآسى التي تحدث في مكاتب المعاشات وحجم المعاناة التي يتكبدها كثيرون للحصول على فتات ، ربما لا يكفى لتلبية قدر كبير من احتياجتهم ، لكنهم مضطرون على مضض للحصول عليه تحت ضغط الحاجة وشعار أن "النوايا تسند الزير".

لكن النوايا تبدو عزيزة وانقطعت المياه عن الزير ولم يشفع للظمأى تعبهم ولم تجد الأجساد الواهنة من يرحم ضعفها .. وتفرض عليهم بتعسف ، الدوران كعب داير لنفس المكتب أكثر من مرة أو من مكتب لآخر كل منهم يلقى عليه بالمسئولية متنصلا منها .. مرة بحجة عدم اكتمال الأوراق أو بطلب غريب يستلزم البحث عن أصل اسم لجد الجدود أو تصحيح خطأ موظف آخر لم يكن لصاحب المعاش أي يد في ارتكابه لهذا الخطأ ، أو بطلب عجيب من جهة العمل ليس له في الواقع أصل أو مستند يثبته أو ضاع بسبب موظف آخر أو رفض ثالث تقديمه بحكم بيروقراطية وروتين لايقل تعنتا عن تلك التي تحكم منظومة المعاشات.

محظوظون فقط من يتشى لهم الحصول على معاشهم بسهولة ويسر وفى وقت مناسب ، وأعتقد أنهم قلة ، أما التعساء وهم فيما يبدو لي الأغلبية ، فعليهم التحلى بصبر ربما يفوق صبر أيوب نفسه ، لتنتهى رحلة عذابهم إما بالحصول على المعاش بعد جهد تضيع معه أي فرحة إنجاز ، خاصة بعدما يبتلعها غول الغلاء المتربص بجيوب وقوت المصريين بلا رحمة ، أو تنتهى تلك المعاناة بنفاد العمر نفسه ليدخل الورثة اللاحقون في نفس دوامة السابقين ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .